Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

في إحدى مقامات الحريري تدور الأحداث حول ولادة عسيرة، حول جنين لا يرغب في الخروج إلى الدّنيا ويتشبّث بالرّحِم حيث اللا مبالاة واللا مسؤولية والنّعمة الشّاملة. ويخاطبه أبو زيد السّروجي قائلاً :

أَيُّهَـــــذَا الجَنِينُ إِنِّي نَصِيـــــحٌ لَـــكَ والنُّصْـحُ مِنْ شُرُوطِ الـــدِّينِ
أَنْتَ مُسْتَعْصِمٌ بِكِنٍّ كَنِينٍ وَقَرَارٍ مِنَ السُّكُـــــــــونِ مَكِينِ
مَـا تَرَى فِيـــهِ مَـــا يَرُوعُـــكَ مِنْ إِلْـ ـفٍ مُـــــدَاجٍ وَلاَ عَـــــــدُوٍّ مُبِينِ
فَمَتَى مَـــــا بَرَزْتَ مِنْـــــهُ تَحَـــوَّلْـ تَ إِلَى مَنْـــــزِلِ الأَذَى والْهُـــــونِ
وَتَرَاءَى لَـــكَ الشَّقَـــاءُ الَّـــذِي تَلْـ قَى فَتَبْكِي لَـــهُ بِـــدَمْـــعٍ هَتُـــونِ
فَـاسْتَـدِمْ عَيْشَـكَ الرَّغِيـــدَ وَحَـــاذِرْ أَنْ تَبِيـعَ الْمَحْقُـوقَ بِـــالمَظْنُـونِ[13]

والعجيب أن الحديث عن هذه الوِلاَدَة العَسِيرة يأْتِي في المقامة مباشرة بعد وصفٍ للبحر وبعد ذِكْرٍ لسفر في البحر. لعلّة ما يرد ذكر العنصر المائي عند ذكر الولادة في ما لا يحصى من الحكايات.[14] إنّ من قرأ ابن طفيل يتذكّر أن أم حي بن يقظان «وضعته في تابوت أحكمت زمّه [...] ثم قذفت به في اليم».[15]

حكاية الصّيّاد والعفريت تصف صيداً عسيراً. الولادة الصّعبة تأخذ هنا مظهر الشبكة التي يتعذّر استخراجها من قعر البحر فيضطر الصّيّاد إلى الغوص لفكّ خيوطها، كما يضطر إلى فكّ الرّصاص من فوهة القمقم بسكّين ليخرج الجنّي. ولعلّ هذا سبب حقد هذا الأخير على الصّيّاد. فالجنّي تتجاذبه نزعتان متعارضتان : نزعة الخروج إلى الدّنيا ونزعة المكوث في القمقم. فهو يعود إلى القمقم ـ الرّحِم بعد الخروج منه، ثم يتطلّع إلى الدّنيا من جديد فيتخلّص من القمقم ويقذفه في البحر.

13) الحريري، ص. 433 ـ 434.
14) رانك، ص. 43 وما بعدها.
15) ابن طفيل، ص. 121 ـ 122.